مُعْجِزَاتُ الطَّعامِ

أعرض عليكم فيما يلى الآثار التى رويتْ فى هذا الباب ، تاركاً أَمْرَ التعليق عليها إلى ما بعد الانتهاء منها:

١ - عن سلمة رضى الله عنه، قال : خفَّت أزواد القوم وأملقوا[١] فأتوا النبىﷺ، فى نحر إبلهم، فأذن لهم، فلقيهم عمر، فأخبروه فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم . . فدخل على النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؛ فقال رسول الله ﷺ : ناد فى الناس، فيأتون بفضل أزوادهم[٢]، فبُسط لذلك نطع[٣]، وجعلوه على النطع، فقام رسول اللهﷺ، فدعا وبرّك عليه[٤]، ثم دعاهم بأوعيتهم، فاحتثى[٥] الناس حتى فرغوا. ثم قال رسول الله ﷺ «أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله»

[رواه البخارى وأحمد، ورواه مسلم بلفظ مختلف]

٢ - وعن جابر رضى الله عنه، قال: أُصيب عبدالله[٦] وترك عيالاً ودَيْناً، فطلبت إلى أصحاب الدَّين أن يضعوا بعضاً من دينه[٧]، فأبوا، فأتيت النبى ﷺ فاستشفعت[٨] به عليهم ، فأبوا . فقال: صنّف تمرك كل شيءٍ منه على حدته، عذق[٩] ابن زيد[١٠] على حدة، واللين[١١] على حدة، والعجوة

(١) أملقوا : أكلوا ما لديهم حتى نفد.
(٢) الفضل : البقية . أزواد : جمع زاد ، وهو الطعام.
(٣) النطع : بساط من جلد.
(٤) بّرك عليه : دعا بالبركة.
(٥) احتثى : اغترف.
(٦) عبدالله : والد جابر.
(٧) يضعوا : بعضاً من دينه : يتنازلوا عن بعضه.
(٨) استشفعت به : جعلته شفيعاً ، لعلّ القوم يقبلون المهلة على لسانه هو.
(٩) عذق : القنو ، وهو من النخل كالعنقود من العنب.
(١٠) ابن زيد : من أنواع التمر.
(١١) اللين : من أنواع التمر.

obeikandl.com

على حدة، ثمّ أحضرهم حتى آتيك. ففعلت، ثم جاء النبى ﷺ فقعد عليه[1]، وكال لكل رجل حتى استوفى وبقى التمر كما هو وكأنه لم يُمَس.

[رواه البخارى والنسائى]

٣ - عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أنّه أخبره أنّ أباه توفّى، وترك عليه ثلاثين وسقاً[2]، لرجل من اليهود، فاستنظره[3]، فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ، يشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ ، وكلّم اليهودى، ليأخذ تمر نخله بالذى له، فأبى فدخل رسول الله ﷺ النخل، ثم قال لجابر: جُد له[4] فأوف الذى له. فجده بعدما رجع رسول الله ﷺ ، فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً، فجاء جابر رسول الله ﷺ؛ ليخبره بالذى كان ، فوجده يصلى العصر، فلما انصرف بالفضل[5] فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر، فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ، ليُبَاركن فيها.

[رواه البخارى والنسائى وأحمد]

٤ - عن النعمان بن مُقَرِّن ، قال: قَدمْنا على رسول الله ﷺ فى أربع مائة رجل من مزينة ، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره ، فقال بعض القوم: يا رسول الله ، ما لنا طعام نتزوّده. فقال النبى ﷺ لعمر : زوّدهم. فقال : ما عندى إلا فاضلة[6] من تمْرٍ ، وما أراها تغنى عنهم شيئاً ، فقال: انطلق، وزودهم، فانطلق بنا إلى عِلّيّة[7] له، فإذا فيها تمر مثل البكر[8] الأورق[9] فقال: خذوا . فأخذ القوم حاجتهم . قال: وكنت أنا فى آخر القوم، قال: فالتفتّ وما أفقد موضع تمرة، وقد احتمل منه أربع مائة رجل. [رواه أحمد].

---

(١) فقعد عليه : مكث بقربه.
(٢) الوسق : حمل بعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبى ﷺ وهو خمسة أرطال وثلث.
(٣) استنظره : طلب منه أن ينُظره ، أى يمهله.
(٤) جُدْ له : أى اقطع له.
(٥) الفضل : ما بقى من التمر بعد وفاء الدين ، وهو بمعنى الزيادة.
(٦) فاضلة من تمر : بقية من تمر.
(٧) العلّيّة : الغرفة.
(٨) البكر : الفتىّ من الإبل.
(٩) الأورق : ما كان لونه لون الرماد.

٥ - عن سَمُرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبى ﷺ ، إذْ أُتِىَ بقصعة فيها ثريد[١] قال: فأكل، وأكل القوم، فلم يزلْ يتداولونها إلى قريب من الظَّهر، يأكل كل قوم، ثم يقومون، ويجىء قوم، فيتعاقبوه[٢]، قال: فقال له رجل: هل كانت تُمَدّ بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانتْ تُمَدُّ من السماء. [رواه أحمد].

٦ - عن علىٍّ رضى الله عنه ، قال: جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب، فهم رهط[٣] كلهم يأكل الجذعة[٤] ويشرب الفرق[٥] ، قال: فصنع لهم مداً[٦]، من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقى الطعام كما هو، كأنه لم يُمسّ، ثم دعا بغَمْر[٧]. فشربوا حتى رووا، وبقى الشراب كأنه لم يُمس، أو لم يُشْرب. فقال: يا بنى عبدالمطلب، «إنى بُعِثْتُ إليكم خاصَّة، وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتمُ، فأيّكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى؟» قال: فلم يقمْ إليه أحد. قال: فقمْتُ إليه، وكنْتُ أصغر القوم. قال: فقال: «اجلس». قال: ثلاث مرّات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول لى اجلس، حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى. [رواه أحمد].

٧ - عن جابر رضى الله عنه، قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضتْ لنا كدية[٨] شديدة شديدة، فجاءوا النبى ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت فى الخندق. فقال: « أنا نازل»، ثم قام، وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيّام لا نذوق ذواقاً[٩]، فأخذ النبى ﷺ المعول، فضرب، فعاد كثيباً

---

(١) الثريد : كسَر الخبز فى مرق اللحم.
(٢) يتعاقبوه : يتناوبوه : جماعة عقب جماعة.
(٣) الرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة.
(٤) الجذعة : ما تمّ ستة أشهر إلى سنة من الضأن والمعز.
(٥) الفرق : الإناء.
(٦) المدّ : مكيال يقدّر بملء الكفين ، ويعادل ربع الصاع.
(٧) الغَمْر : القدح الصغير.
(٨) كدية : صخرة.
(٩) ذواقاً : ما يُذاق ، ويَقْصد به هنا الطعام.

أهيل أو أهيم[١] فقلت: يا رسول الله ائذن لى إلى البيت. فقلت لامرأتى: رأيْتُ بالنبى ﷺ شيئاً ما كان فى ذلك صبر، فعندك شىء؟ فقالت: عندى شعير وعناق[٢]، فذبحْتُ العناق، وطحنْتُ الشعير، حتى جعلنا اللحم فى البرمة[٣]، ثم جئْتُ النبى ﷺ، والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافى[٤] قد كادت أن تنضج. فقلت: طُعيِّم لى، فقم أنت يا رسول الله ورجلٌ أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، قال: «كثير طيّب»، قال: قل لها لا تنزع[٥] البرمة ولا الخبز من التنوّر[٦]، حتى آتى. فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته، قال: ويحك، جاء النبى ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: «ادخلوا، ولا تضاغطوا»[٧] فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمّر[٨] البرمة والتنّور إذا أخذ منه، ويقرّب إلى أصحابه، ثمّ ينزع، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا، وبقى بقيّة، قال: «كلى هذا، وأهدى، فإنّ الناس أصابتهم مجاعة». [رواه البخارى ومسلم وأحمد]

وفى رواية ثانية للبخارى ورد فيها أن عدد المهاجرين والأنصار الذين أكلوا كانوا ألفاً.

٨ - قال إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فأصابنا جهد، حتى هممنا بنحر بعض ظهرنا[٩]، فأمر نبى الله ﷺ،

---

(١) وأهيم: بمعنى واحد، وهو الرمل المنهال.
(٢) العَنَاق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحَوْل.
(٣) البرمة: قِدْر من حَجَر.
(٤) الأثافى: جمع أثفيّة، وهى أحجار ثلاثة توضع حول النَّار، ويوضع القدر عليها.
(٥) لا تنزع: لا ترفع.
(٦) التنوّر: الموقد.
(٧) لا تضاغطوا: لا تتدافعوا ازدحاماً.
(٨) يخمرّ: يُغطّى.
(٩) ظهرنا: ما يركب عليه من الدواب.

فجمعنا مزاودنا[1] فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتطاولت؛ لأحزره[2] كم هو ، فحزرتهُ كربضة العنز[3]، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا[4]. فقال النبى ﷺ: فهل من وضوء؟ قال: فجاء رجل بإداوة[5] له فيها نطفة، فأفرغها فى قدح، فتوضأنا، كلنا ندغفقه[6] دغفقة أربع عشرة مائة. ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال: رسول الله ﷺ «فرغ الوضوء». [رواه مسلم].

٩ - عن عبدالله بن أبى طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأمّ سُلَيم : سمعت صوت رسول الله ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شىء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثمّ أخرجت خماراً[7] لها فلفَّتْ الخبز، ثمّ دسَّتْه تحت يدِي، ولاثتنى[8] ببعضه، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ . قال: فذهبْتُ به، فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد ، ومعه الناس، فقمْتُ عليهم، فقال لى رسول الله ﷺ : «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم. قال: «بطعام»؟ فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا» فانطلق، وانطلقْتُ بين أيديهم، حتى جئْتُ أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سُلَيم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ ، فأقْبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ : يا أم سُلَيم ما عندك؟ فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ، ففُتّ وعصرت

(١) المزاود : جمع مزادة، وهى القربة الكبيرة يحمل فيها الماء أو الزاد.
(٢) أحزر : أخمِّن وأقدّر.
(٣) كربضة العنز: كالمساحة التى تشغلها العنز إذا ربضت.
(٤) الجراب: وعاء من جلد يوضع فيه الزاد.
(٥) إداوة : إناء صغير من جلد.
(٦) دغفق: صبّ صباً شديداً.
(٧) الخَمَار : وهو ما تغطّى به المرأة رأسها.
(٨) لاثتنى : لفّتنى.

أمُّ سليم عكّة[1] فأدمتْه[2]، ثمّ قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول. ثمّ قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثمَّ خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم، وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

[رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد]

١٠- عن عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما، قال: كنا مع النبىﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبى ﷺ : هل مع أحدٍ منكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثمّ جاء رجلٌ مشرك مُشْعان طويل بغنمٍ يسوقها. فقال النبى ﷺ : بيعاً أم عطيَّة؟ أو قال: أم هبة؟ قال: لا ، بل بيع. فاشترى منه شاة، فصنعتْ، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن أن يُشْوى، وأيمُ الله[3] ما فى الثلاثين والمائة إلا قد حزّ[4] النبى ﷺ له حزّة من سواد بطنها، إن كان شاهداً أعطاها إيَّاه، وإن كان غائباً خبّأ له، فجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون، وشبعنا، ففضلت القصعتان ، فحملناه على البعير. [رواه البخارى ومسلم].

أولاً: لماذا الطعام ؟

لقد قلنا سابقاً ، أن المعجزة لا تتجلّى إلا فى الظروف التى من شأنها أن تشعر الناس بقدرها العظيم:

١ - إما فى وسط بلغ فيه الناس شأواً كبيراً وقدرة عظيمة، فتأتى المعجزة فى هذا الباب إعجازاً للناس فيما هم بارعون فيه.

---

(١) عكّة : قربة من جلد يحفظ فيها السمن.
(٢) أدَمَتْه : أى جعلته إداماً.
(٣) وأيْمُ الله : قَسَمٌ.
(٤) حزّ : قطع.

٢ - أو فى وسط يفتقر إلى أشياء صعبة المنال، كالذى كان مع العرب، الذين كانوا يعيشون فى بيئة شحيحة الموارد، مما اضطرهم إلى أن تكون حياتهم حياة تنقل مستمر؛ بحثاً عن مواطن الكلأ والماء.

وفى هذا الوسط كانت حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ ، فإذا ما كابدوا الجوع، ولم يجدوا ما يسدّون به رمقهم، جاءتهم المعجزة بالغذاء الوفير من باب خفىّ، بعيداً عن كل احتمالات المنطق المادى، الذى يقول : إن طعام الرجل الواحد يستحيل أن يكفى العشرات والمئات، أو يبقى، بعد أنْ يُؤْكَلَ منه، كأنّه لم يمسّ.

وقد يخطر على بال أحدكم أنْ يتساءل: لماذا لم تستمرّ هذه المعجزة مع المسلمين، كما كان الحال مع بنى إسرائيل الذين كان ينزل عليهم المن والسلوى صباحاً ومساءً لسنوات عديدة؟

فأقول: إن السبب فى ذلك أمران:

١ - صدق الإيمان لدى المسلمين فى ذلك الأوان جعلهم يقنعون بأقل القليل؛ إيماناً منهم بأن ما عند الله خير وأبقى، فلم يكونوا يطلبون من رسول الله معجزة توفرّ لهم الطعام، حتى يكون هو ﷺ من يأتى بها من تلقاء نفسه.

٢ - ولأن الهدف من وقوع المعجزة إثبات صدق صاحب الرسالة، فكان وقوعها ، ولو لمدّة واحدة، كفيلاً بإلقاء الإيمان فى قلوب الناس، والذى من شأنه أن يصرفهم عن طلب معجزة أخرى.

ثانياً : معجزات الطعام لدى الأنبياء :

لقد ذكر لنا جل شأنه فى كتابه الكريم بعضاً من معجزات الطعام عند بعض الأنبياء. وذلك فى معرض ما يقصّه جل شأنه على رسوله الكريم محمد ﷺ من أخبار الأولين:

١ - موسى عليه السلام :

بعد أن كتب جل شأنه على بنى إسرائيل أن يتيهوا فى الأرض، سخَّر لهم فى تلك السنوات طعاماً خاصّاً ، لا يتوفر فى الحالات الطبيعية.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[البقرة :٥٧] .

ذكر المفسرون أن هذا جرى فى التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبّارين وقتالهم؛ وقالوا لموسى **﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا .. ﴾**[**المائدة** :٢٤] فعُوقبوا فى ذلك الفحْص[١] أربعين سنة يتيهون فى خمسة فراسخ[٢] أو ستة.

رُوى أنهم كانوا يمشون النهار كله، وينزلون للمبيت، فيصبحون حيث كانوا بكرة أمس، وإذا كانوا بإجمعهم فى التيه قالوا لموسى: من لنا بالطعام! فأنزل الله عليهم المن والسلوى. قالوا: من لنا من حرّ الشمس، فظلّل عليهم الغمام.

واختُلف فى المنّ ، ما هو:

قيل: هو التّرنْجبين[٣] وعلى هذا أكثر المفسرين.

وقيل: صمْغةٌ حلوة.

وقيل: عسل.

وقيل : «المن» مصدر، يعمّ جميع ما منّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع؛ ومن قول رسول الله ﷺ وسلم فى حديث سعيد بن زيد بن عمرو ابن نُفَيل: «الكمأة من المنّ الذى أنزل الله على بنى إسرائيل وماؤها شفاء للعين» [رواه مسلم]

وشبِّهت بالمن؛ لأنّه لا مؤونة فيها ببذر ولا سقى ولا علاج.

---

(١) الفحْص : كل موضع يُسْكن.

(٢) الفرسخ : ثلاثة أميال.

(٣) الترنجبين : طلّ يقع من السماء، وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبّب.

روى أن المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج، فيأخذ الرجل ما يكفيه ليومه

(السَّلوى).

طير بإجماع المفسرين[1].

فها هم بنو إسرائيل فى صحراء قاحلة جرداء، يأتيهم طعام بالغ الجودة والبركة، بدون جهد أو طلب منهم. وقد استمرّ نزول المن والسلوى عليهم إلى أنْ سئموه، فقالوا لموسى عليه السلام.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ .. ﴿٦١﴾ ﴾[البقرة:٦١].

فقولهم :﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ مؤشر على أن طعام المن والسلوى كان بقدرة الله تعالى، بعيداً عن قوانين المُمْكن فى نطاق قدرات الإنسان. فقد كان نزول المن والسلوى على هؤلاء القوم فى صحراء قاحلة لا يتيّسر فيها الغذاء معجزة تشهد لموسى عليه السلام بالمصداقية فيما يدعو إليه.

٢ - عيسى عليه السلام :

قال تعالى فى شأن المائدة التى أُنْزلت من السماء على بنى إسرائيل:

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[المائدة: ١١٢-١١٥].

---

(١) تفسير القرطبى - الجزء الأول - ص ٤٠٦ ، ٤٠٧.

اختلفت الأقوال فى أصناف الطعام التى احتوتها تلك المائدة، وكلها لايعتمد على نصّ قاطع ، تنتهى معه كل أشكال الخلاف . . فقد شُغل المفسرون وأصحاب الكلام فى معرفة أنواع الطعام الذى نزل على تلك المائدة، وكثر القول فى ذلك كثرة ممقوتة، فى ظل وجوب النظر فى تلك الآية، والهدف المقصود من وقوعها.

ورد فى متن الآيات المذكورة قول بنى إسرائيل لعيسى عليه السلام ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ إشارة إلى أنهم يريدون أمراً خارقاً للعادة يكون شاهداً على صدق عيسى عليه السلام، وهو قولهم: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾.

وفى ظل هذه الفكرة يجب أن يكون حضورها مُعْجِزاً ، وكذلك الأكل منها:

أ - أمّا حضورها فقد كان معجزاً، إذ أنها هبطت من السماء ، وهم ينظرون.

ب- وأما الأكل منها فقد كان كما أرادوا ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾.

فقد أكل منها القوم جميعاً بدون استثناء ، فَكَفَتْهُمْ، وأما الأطعمة التى كانت على المائدة، فقد كانت مما يعرفه القوم، ويتداولونه فيما بينهم؛ لأنها لو كانت غير ذلك، لما أقبل عليها القوم، ولما كانت عيداً لهم؛ لأن الإنسان من طبعه النفور من الأطعمة الغريبة عنه.

٣ - محمَّدٌ صلّى اللّه عليه وسلّم :

وفى نفس السياق تندرج معجزات الحبيب محمد ﷺ ، والتى تجلّت فيها القدرة أكثر مما كان لدى موسى وعيسى عليهما السلام، ولدى غيرهما من الأنبياء:

١ - فلم تتحقق المعجزة معه ﷺ مرَّةً واحدة، بل مرات عديدة.

٢ - ثمّ إن ظهور المعجزة لديه ﷺ تحقّق من خلال مسار أكثر ابتعاداً عن احتمالات التأويل والتبرير.

فالمن والسلوى، قد نجد من يقول أنهما جاءا من مكان ما على هذه الأرض. وكذلك المائدة ، قد لا يستطيع العقل الامتداد إلى الإيمان الجازم بأنها جاءت من السماء، فيرى أنها جاءت من مكان ما وبطريقة ما، بعيداً عن السماء.

أما محمد ﷺ ، فقد كانت المعجزة لديه واضحة جليّة، بعيداً عن كل احتمالات الشك والتقوّل.

فبنو عبدالمطلب كانوا يرون أمامهم مُداً من الطعام، وهو ما يُقَدَّر بملء الكفين، وهم لم يكونوا رجلاً أو رجلين، بل كانوا رهطاً دون العشرة رجال، وحسب المقاييس البشريَّة العاديَّة ، فإن ذلك المُدّ لا يكاد يكفى رجلاً واحداً، فما الذى حدث؟

لقد أكل القوم جميعاً من ذلك المدّ، وملأوا بطونهم، وبقى الطعام كما هو، كأنه لم يُمَسّ، ولا نستطيع بأى حال أن نقول أنّ الأمر كان توهماً، فقد مَدّ القوم أيديهم، وظلوا يمدونها فى نفس الوعاء، ويردونها إلى أفواههم ملأى بالطعام إلى أن شبعوا، وبقى الطعام كأنه لم يُمَسّ.

فما الذى أكله القوم؟

لقد أكلوا من ذلك الطعام ، دون أن يطرأ عليه النقصان، وكأن الذى أكلوه شيء آخر، كان يُضاف إلى الطعام ، بعيداً عن إدراك القوم، وهى الإشارة التى نجد ذكراً لها فى الحديث الخامس ، الذى ورد فيه ذكر قصعة الثريد ، التى ظل القوم يتداولونها إلى قريب من الظهر، وعندما سُئِل راوى الحديث: هل كانت القصعة تمدّ بطعام؟ أي : هل كان يُـزاد فيها؟ قـال: (أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمدّ من السماء).

فليس أمام من يرى هذه المعجزة أى شكل من أشكال التأويل، مثلما هو الحال مع موسى وعيسى عليهما السلام؛ لأن معجزة الرسول ﷺ تحققت من

الألف إلى الياء أمام عيون القوم، طعام قليل يكفى جماعة كبيرة بدون أن يزاد فيه، وبدون أن ينقص منه شيء.

ولعدم رغبة مشركى مكة فى الإيمان نسبوا الفعل الذى رأوه إلى السحر، الذى يجعلك ترى الشيء فى صورة ليست هى صورته الحقيقية، فذكر لنا القرآن الكريم قولهم فى رسول الله :

﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[يونس:٢].

وغاب عن هؤلاء القوم أن الساحر لا يجعل الأمر حقيقة، فسحرة فرعون عندما رأوا أفعى موسى عليه السلام تمارس فعلاً يقطع بأنها أفعى لا عصى، أدركوا أن الأمر ليس سحراً كسحرهم، الذى خدعوا به أعين الناس، بل قدرة إلهيَّة خارقة جعلتهم يخرّون سجّداً لله تعالى:

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[طه:٧٠].

فلو كان الأمر مع محمد ﷺ سحراً، لكانت الممارسة هى الكفيلة بكشف زيف ما يرونه، أى أن الزيادة فى الطعام لو كانت سحراً لكان أكلهم منه كفيلاً بكشف ذلك التزوير، لأنه سينقص شيئاً فشيئاً إلى أن يكتمل، عندئذ لن يجدوا طعاماً يأكلونه.

لقد أكل القوم من الطعام، وبقى كما هو، كأن لم يُمَسّ ، فما الذى تناولته أيدى القوم، وما الذى مضغته أفواههم، ومن ثمّ ملأ بطونهم؟ هل هو وهمٌ؟

أبداً لم يكن وهماً، بل كان حقيقيةً وجدوا آثارها فى أيديهم وأفواههم وبطونهم، ومع ذلك بقى كما هو، كأن القوم لم يأكلوا منه شيئاً. فمن أين جاء الطعام الذى أكلوه؟

يشير الحديث الخامس إلى المصدر بقول راوى الحديث: (إلا أن تكون كانت تمد من السماء).

فهو مدد من السماء، ولكنه مدد غير مرئى، كنزول المائدة والمن والسلوى من السماء، بعيداً عن تجهيزات الأرض.

وفى كتاب (الإسراء والمعراج) كنت قد أشرت إلى أن بعض الأشياء قد تحمل وجوداً مزدوجاً: ظاهراً وباطناً، وذلك عند الحديث عن النيل والفرات اللذين ورد فى الحديث أنهم ينبعان من أصل سدرة المنتهى، وهو الجانب الباطن والخفى بالنسبة لنا، وأما الجانب الظاهر فهو ما نراه فى مصر وفى العراق.

ثالثاً: طَعَامُ الجنِّ:

ومما يزيد القول فى شأن الطعام الخفى وضوحاً، ما ورد فى الأثر عن طعام الجن.

قال النبى ﷺ لمن حضره من الصحابة : «إنى أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة، فأيكم يتبعنى؟» فأطرقوا، ثم قال الثانية فاطرقوا، ثم قال الثالثة فأطرقوا، فقال ابن مسعود: أنا يارسول الله. قال ابن مسعود: ولم يحضر معه أحد غيرى، فانطلقنا ، حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبى ﷺ شِعْبا، يقال له (شِعْب الحَجُون) وخطَّ لى خطّاً، وأمرنى أن أجلس فيه، وقال: « لا تخرج منه حتى أعود إليك» ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها[1] وسمعْتُ لغطاً[2] وغمغمة، حتى خفت على النبى ﷺ وغشيته أسودة[3] كثيرة حالت بينى وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبى ﷺ مع الفجر، فقال: «أنمْتَ»؟ قلت: لا والله، ولقد همْمتُ مراراً أن استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك ، تقول اجلسوا؛ فقال: « لو خرجْتَ لم آمن عليك أن

(١) تمشى فى رفرفها : أى فى جماعتها ، والتى تبدو لكثرتها كأنها البساط.

(٢) اللغظ : الصوت والجلبة.

(٣) أسودة : جمع السواد، والسواد والأسودات والأساود : جماعة الناس ، وقيل هم الضروب المتفرقون.

يخطفك بعضهم» ، ثم قال: «هل رأيت شيئاً»؟ قلْتُ: نعم يا رسول الله ، رأيْتُ رجالاً سوداً مُسْتَنْفِرى[1] ثياباً بيْضاً؛ فقال «أولئك جنّ نَصِيبين ، سألونى المتاع والزاد، فمتّعتهم بكل عظم حائل[2] وروثة وبعرة».

فقالوا يا رسول الله، يَقْذَرها الناس علينا. فنهى رسول الله ﷺ أن يُسْتَنْجى بالعظم والروث. قلت: يا نبى الله ، وما يُغْنى ذلك عنهم! قال: «أنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكِل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبّها يوم أكل»[3]. [رواه البخارى].

والشاهد فى هذا الأثر هو قول رسول الله ﷺ فى شأن طعام الجن «إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكِل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبّها يوم أكل»[رواه البخارى].

ولو عرضنا هذا الكلام على العقل المادى المشهود لأنكره، ولما آمن به ، مستشهداً على ذلك بما يراه من أحوال العظام، إذ تبقى العظمة كما هى جرداء، لا لحم عليها إلى أن تبلى، وتصبح تراباً ، ولم يجرؤ أحدٌ ما على القول بأنه رأى عظمة جرداء بالية قد اكتست لحماً مرَّة أخرى.

ومع ذلك ، فليس لنا إلا الإيمان بذلك فى ظل حيثيات عديدة.

١ - صحة الحديث عن رسول الله ﷺ ، لا تترك لنا مجالاً لرفض هذه الفكرة.

٢ - ثمّ إن العين البشرية ليست هى الحكم الفصل فى إثبات وجود الموجودات، ليكون ما تراه موجوداً، وما لا تراه ليس موجوداً، فلقد أثبت العلم الحديث ذلك فى مجالات عديدة، كالفيروسات الدقيقة التى لا تراها العين المجرَّدة، ليس لنا أن نقول إنها غير موجودة؛ لعدم وقوع العين المجرّدة عليها.

---

(١) الاستنفار : أن يُدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملوّياً ، ثم يخرجه.

(٢) العظم الحائل : المتغير ، قد غيرّه البلى.

(٣) تفسير القرطبى : الجزء الساس عشر ، ص ٢١٢.

وفى الآثار الدينيَّة ورد أن الملائكة يهبطون إلى الأرض ويعرجون منها ، فهل لنا أن نرفض هذه الفكرة لعدم إدراك العين لها.

٣ - ولو افترضنا أن الإنسان مدّ يده فى الفراغ فلمست ملكاً من الملائكة، فهل تظنون أنه سيشعر بتلك الملامسة؟!

وكذلك هو طعام الجن ، جعله رب العالمين من مخلفات ما يأكله الإنسان والحيوان، ولكنه سبحانه، وضعه فى إطار قانون آخر غير قانون الإنسان، قانون لا يدرك منه الإنسان شيئاً، وليس له أن يتفاعل مع الموجودات من خلاله. والذى يؤيِّده معجزات الطعام لدى رسول الله ﷺ والتى دارت حول محور واحد، وهو طعام قليل يكفى رجلاً أو رجلين، يصبح على يد رسول الله كافياً للعشرات بل وللمئات بدون أن ينقص منه شىء. فهل يعنى عدم رؤيتنا لهذه الزيادة أنها غير موجودة، وهى فى واقع الأمر قدْ ملأتْ بطون القوم؟

رابعاً : يطعمنى ربى ويسقينى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فى الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله قال: «وأيكم مثلى، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى» [رواه البخارى ومسلم].

فقد أراد عدد من الصحابة أن يصل يوم صومه بيوم آخر بدون أن يفطر أو يتسحّر ، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، وعندما ذكروا له أن يفعل ذلك، قال: إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى.

والبيات يكون فى الليل. فكيف نوفّق بين ما يراه الصحابة فى رسول الله وبين ما أخبرهم به من أنه يطعمه ربُّه ويسقيه؟

إن الطعام والشراب اللذين ينالهما رسول الله ﷺ ليس كالصورة التى يعرفها الناس، والتى من خلالها ظنوا أن رسول الله يصل يوم صومه بيوم آخر.

بل هو فى صورة أخرى لا يعلم كنهها سوى رب العالمين، وهى صورة لا تحتاج إلى مـدّ يـد وتحـريك فم. . وقد يقودنا إلى شىء من إدراك هذه الحالة، ما كان مع أهل الكهف الذيـن : ﴿ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾[الكهف :٢٥] .

فقد لبثوا فى كهفهم ثلاثة قرون نائمين، لا يأكلون ولا يشربون، ومع ذلك بقوا على قيد الحياة، لا يعانون جوعاً ولا عطشاً، لأن هاتين الحالتين إذا ما تمكنتا من الإنسان، فإنهما كفيلتان بإخراجه من حالة النوم، بل ومن الحياة بأسرها. . ولكن بقاءهم على قيد الحياة دليل على أن الله تعالى كان يطعمهم ويسقيهم، ولكن من خلال قانون آخر، غير القوانين الماديَّة المعهودة لدينا فى عالم الواقع .

وكذلك رسول الله ﷺ، فلم يكن طعامه وشرابه يحمل الصورة التى يعرفها البشر، ولم يكن تزوّده بهما بالهيئة التى يعرفها بنو البشر، ولكنه فى النهاية يؤدى نفس النتيجة التى يؤديها الطعام المعروف .

خامساً : هو من عند الله :

قال جل شأنه فى شأن مريم الصّدّيقة :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[آل عمران :٣٧] .

وجاء فى تأويل الآية أن فاكهة الشتاء تكون لديها فى الصيف، وفاكهة الصيف تكون لديها فى الشتاء. فهو رزق لم تسع هى إليه، ولم يجلبه إليها أحد من بستانه أو من بيته، بل كان من عند الله الذى بيده ملكوت كل شىء .

ومن ذلك كله يتبين لنا أن الحدود الفاصلة بين ملكوت الأرض وملكوت السموات ليست متحققة من خلال طبيعة خلق كل منهما، فهما كون واحد ووجود واحد، وعدم إدراكنا لملكوت السماوات مبعثه القوانين الإدراكية التى يتوفّر عليها الإنسان، والتى لا تتيح له الإطلاع على أكثر مما يقف عليه بحواسّه .

فإذا ما كان المسلمون ينظرون إلى زاد ويأكلون منه بدون أن يتناقص، فما ذلك إلا لكون الزاد له امتداد آخر فى عالم الغيب الذى لا يراه الإنسان لذلك كان الزاد لا ينقص؛ لأنه كان يُمَدّ بزاد آخر من العالم غير المشهود إلى العالم المشهود، بدون أن يستطيع الإنسان رؤية حركة ذلك المدد.

وما يدخل فى هذا الإطار مؤيِّداً ومفصِّلاً ، قول رسول الله ﷺ بعد أن صلى بالمسلمين صلاة الكسوف:

«لقد دنت منى الجنَّة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها. .»

[رواه البخارى والنسائى وابن ماجة]

فلو أن رسول الله اجترأ عليها لقدَّم للمسلمين قطافاً من قطافها ، ينقله بذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، بدون أن تكون للمسلمين القدرة على متابعة حركة الانتقال تلك.

obeikandl.com